

الكاتب: د/ بريك الله حبيب

المركز الجامعي تندوف

عنوان المقال: صدقة من أحط الدين بماله

"من نوازل الرحلة الحجازية للفقهاء الولائي

الشنقيطي بتندوف (1912 م / 1330 هـ)

تحقيق ودراسة

البريد الإلكتروني: habibo1980td@gmail.com

تاريخ الإرسال: 04/03/2020 تاريخ القبول: 18/03/2020 تاريخ النشر: 2020/03/31

"صدقة من أحط الدين بماله" من نوازل الرحلة الحجازية للفقهاء الولائي الشنقيطي

بتندوف (1912 م / 1330 هـ) تحقيق ودراسة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾

والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه الكرام.

تأتي هاته الرحلة التي أقدمها في مجملها على نسق ما جاءت به الرحلات العلمية التي ألفها الحجاج المسلمون والعلماء الذين سبقوا الفقيه الولائي، والتي كان لهم فيها محطات علمية سواء من حيث الاهتمام بالمراكز العلمية التي يمرون بها، أو ينزلون فيها للراحة والتعلم والتعرف من خلالها على رجالات العلم والفقه والفكر والساسة وتبادل العلوم والمعارف والكتب والتأليف في جميع المجالات.

وقد أقدمت على تحقيق هذا السفر من رحلة الولائي لما له من أهمية علمية وتاريخية وأخرى تعليمية، وتبرز هاته المكانة التي كانت تحظى بها تندوف وما جاورها من البلاد الأخرى في القرن الرابع عشر الهجري في كلام المختار السوسي في كتابه سوس العالمية⁽¹⁾ حيث يقول . رحمه الله : «تقع هذه المدرسة . المدرسة الجكانية . في تندوف في التخم السوسية الصحراوية، وكان آل بلعش منذ أسسوا تلك المدينة على يد قومهم تاجا كانت رفعا هناك راية التدريس، فدرس فيها كل من مرَّ بهم من فطاحلة الشناقطة كمحمد يحيى الولائي وأمثاله، بل قيل إن

محمود التركي مصحح القاموس المحيط درس هناك أيضا حين سافر إلى الشرق».

وكما شجعتني على نشر هاته المخطوطة كوني ابن هاته البلدة الطيبة . تندوف . وأحد قاطنيها والتي عرفت منذ القدم بعلمها وعلمائها الذين حازوا من الفضل ما حازوا وجابوا البقاع طلبا للعلم والمعرفة وتحقيقا منهم لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ اطلبوا العلم ولو بالصين ﴾.

ولعل من بين الأسباب التي دفعتني أيضا إلى تحقيق ودراسة هذا الجزء من رحلة الولاتي هو ما تحويه من فوائد جمة في جميع جوانبها التعليمية منها والتاريخية والدينية، وحتى الاقتصادية، ولنقل كذلك ماهية الأسباب والدوافع التي تركت الدكتور محمد حجي . رحمه الله . يتباطأ عن تحقيق هذا الجزء بعد ما كان حقق الجزء الأول منها .

ثم مساهمة مني في نشر تراثنا الإسلامي الذي يزخر بكنوز بين طيات مخطوطاتنا والتي لا يعرف قيمتها إلا من خاض غمار بحرهما وأزال ظلمة جهلها . و محاولتي إبراز ولو جانب من جوانب نبوغ الفقيه الولاتي في التأليف والإبداع، وكذلك محاولتي لإظهار العمق التعليمي والتاريخي لمنطقة تندوف التي كانت محط أنظار العلماء من كل حذب وصوب ومركز إشعاع ينير جهة الغرب، بدءاً من أزواد بمالي مروراً بولاية في موريتانيا فتندوف في الجزائر وصولاً إلى سوس في المغرب ، ومحاولتي إتمام ما أنجزه الدكتور محمد حجي . رحمه الله . وإخراجه للناس في عمل متكامل مثله مثل الأعمال الأخرى المحققة كرحلة الوريكي وغيرهم . وقد يسر الله لي الوقوف على ثلاث نسخ، واحدة منهم كاملة واثنتين ناقصتين لا يوجد بهما الجزء الثاني من الرحلة موضوع البحث، أما الكاملة فهي نسخة عبد السلام ابن سودة المحفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 11039.

*ويقع هذا الجزء الذي هو موضوع التحقيق في آخر المخطوطة وهذه النسخة الوحيدة الكاملة من الرحلة الحجازية، تقع في 73 لقطة (146) صفحة.

بحيث تبتدئ بصفحة 481 كما هو مثبت في الصفحة الأولى وتنتهي بصفحة 627.

* خطها: مغربي واضح

* مسطرتها: عشرون سطرا في كل صفحة.

* عدد الكلمات في كل سطر يتراوح ما بين 10.07.

* أما تاريخ نسخها: فلا أثر له.

* ناسخها: محمد يحيى كما هو مثبت في آخرها.

* توجد بها تعقيبة.

وقد كتب على هوامشها كلمة «صح» وهي علامة الصحة وكلمة «بلغ» و سيتعملها الناسخ عند انتهائه من فقرة أو إجابة على مسألة جديدة.

أوراقها جيدة إذ لم يظهر على الصورة أي أثر للتآكل أو أي تخريب لها أو تأثير بعوائد الزمان، ما عدا بعض الأسطر المشطوبة عليها في أول صفحة منها كما ستجده في النماذج المرفقة منها، خالية من التهميش، جيدة الخط ومقرؤة.

بدايتها: وَأَتَحَفَّنَا عَابِدِينَ جَمَلٍ فَحَلَّ ذُلُولٍ وَحَنَبِلٍ جَيِّدٍ، وَرَوَدَنَا فَخْرَجَنَا مِنْهُ لِثْمَانٍ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ الْعَامِ السَّادِسِ عَشَرَ بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ، قَاصِدِينَ تَنْدُوفٍ.

نهايتها: إِذَا وَقَعَ مِنْ صَبِيٍّ أَوْ مَجْنُونٍ أَوْ نَائِمٍ أَوْ غَافِلٍ أَوْ مُكْرَهٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ وَكُلَّمَا غَفَلَ عَنْهُ الْغَافِلُونَ وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَتَبَ هَذَا مِنْ نُسخَةِ الْمُؤَلِّفِ عُبيدَ رَبِّهِ مُحَمَّدَ يَحْيَى أَنْتَهَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

* أما النسخة الثانية: فهي النسخة الموريتانية المحفوظة عند حفدة المؤلف، وتقع في 343 ورقة (686) صفحة من القطع المتوسط.

* خطها مغربي صحراوي مليح.

* ناسخها: محمد الأمين بن سيدي باريك كما هو مثبت في آخرها.

* تاريخ نسخها: 11 ربيع الثاني عام 1342هـ.
 وكتب في النهاية: « هذا آخر الجزء الأول »، تقل به الأخطاء إلا صفحات مسودة في
 النسخة المصورة انطمست فيها كلمات أو سطور.
 وقد ألحق بأول المخطوطة فهرس الرحلة في أربع صفحات بخط وضعه
 حفيد المؤلف مروان بن سيد محمد بتاريخ 17 ذي الحجة 1403هـ.
 * أما النسخة الثالثة فهي نسخة دار الكتب القومية بمصر، المحفوظة
 برقم 1519 تاريخ تيمور عربي، وتقع في 55 ورقة (110) صفحة من القطع المتوسط.
 وقد جاء على الغلاف مايلي: رحلة محمد بن يحيى بن محمد المختار بن عبد
 الله النفاع بن أحمد.

* نوع الخط: نسخ.

* مقاسها: 21 / 13.5 سم.

* عدد الأسطر: 22 سطر.

* لون المداد: أسود.

* حالتها: سئية.

* أما ناسخها وتاريخ نسخها: فلا أثر لهما.

بدايتها: بِعَدِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقَدْ خَرَجْنَا لِحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَاعْتِمَادِ وَزِيَارَةِ
 نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

نهايتها: عَلَيْهِ صَلَوةُ اللَّهِ مَا رَاحَ بَارِقَةٌ وَ... وَتَمَّ الرِّضَا عَنْ صَحْبِهِ الْأَنْجُمِ... قَدْ
 يَنْتَهِي الْجُودُ وَالْمَجْدُ.

منهجي في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة وحيدة مصورة عن أصل
 محفوظ بالخزانة الملكية بالرباط برقم 11039.

ترجمة الفقيه الولائي⁽²⁾

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ:

جاء تعريف الفقيه الولائي في بعض كتبه، بقوله: «يقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني به عمن سواه: محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله، الولائي وطنا، الداودي نسباً»⁽³⁾. فكتفى في ذكر نسبه .رحمه الله على جده الأول: الطالب عبد الله⁽⁴⁾، ثم أشار بعد ذلك إلى موطنه ونسبه الشريف⁽⁵⁾.

غير أننا نجد حفيده وبعض تلاميذه وغيرهم تجاوز في نسبه إلى جده الثاني، والبعض الآخر اقتصر على جده الأول غير أنه أضاف ذكره كنيته، ولقبه، فكان حاصل ما ذكره بمجموعه مايلي⁽⁶⁾: هو: الفقيه أبو عبد الله محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله النفاع بن أحمد حاج، الداودي ثم الجعفري، الحوزي ثم الولائي. وزاد حفيده: وأولاده يكتونه: بابا، بتفخيم الباءين⁽⁷⁾.

وهذا الإطلاق . الفقيه . يُظهر انتمائه للعلماء الأجلاء الموسوعيين الذين داع صيتهم في العلوم الشرعية⁽⁸⁾، وليس ببعيد عنه، إذ المتأمل لكتبه وتأليفه، المتنوعة في مختلف العلوم والفنون يدرك بأنه كان من أجمع علماء عصره للعلوم الشرعية. أما اسمه «محمد يحيى»، وقع في شجرة النور⁽⁹⁾: محمد بن يحيى، وهو خطأ ظاهر، لأن أباه ليس يحيى، وإنما هو محمد المختار، وهو اسم مركب، وكذلك اسمه مركب هكذا: محمد يحيى، كما صرح بذلك هو بنفسه.

وهذا القدر من الاسم غالبا ما كان يكتفي الفقيه الولائي به في توقيعاته وفتاويه، فتجده يقول بعد إنهاء الفتوى ونحو ذلك: أفتى به عبد ربه محمد يحيى بن محمد المختار، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين جميع الأوزار، أمين⁽¹⁰⁾، ونحو ذلك.

مولده ونشأته العلمية⁽¹¹⁾:

ولد الفقيه محمد يحيى بن المختار الولائي في ولاتة سنة 1259هـ⁽¹²⁾، الموافق لسنة 1842م.

نشأ الولائيقيبييت علم وفضل وشرف، فأكب على الطلب والتحصيل منذ صغره، وعرف منه الذكاء والفتنة وهو دون العشرين من عمره، ولا غرابة في ذلك، إذ أن أجداده كلهم كانوا علماء مشهورين في بلاده، وأبوه محمد المختار وعمه المرواني كانا عالمين جليلين.

في بلدته ولاتة حَصَّلَ الفقيه علومه وظهر عليه حبه للعلم والتحصيل، هذا إلى جانب هاته الهمة العالية التي جعلته حريص كل الحرص على الاستفادة والاستزادة كان كثير المطالعة والبحث.

فظهر كثيرا من الذكاء والحفظ، حيث أنه قام شرح العديد من المنظومات في شتى فنون العلم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

* شرح منظومة السيوطي في البيان.

رحلته:

تُعَدُّ رحلة الفقيه الولائي الحجازية من أهم أحداث حياته التي كان لها بالغ الأثر في تكوينه الفكري، وصقل مواهبه، لما اشتملت عليه من أحداث ومناظرات ومحاورات علمية جليلة دارت بينه وبين علماء الأقطار التي مر بها في ذهابه وإيابه، كما أبرزت هذه الرحلة مكانة الفقيه الولائي العلمية التي تبوأها عند علماء عصره، فحيثما حل ونزل لقي الحفاوة والإجلال والإكبار من أعيان تلك الديار.

والمتتبع لرحلة الفقيه يجد أحداثها ومراحلها تتسلسل تسلسلاً كرونولوجياً دقيقاً ذهاباً وإياباً⁽¹³⁾: فقد خرج فقيهما من ولاتة (7 رجب 1311هـ، الموافق: 14 أبريل 1894م) على الإبل قاصداً بيت الله الحرام وخلالها أنشد العلامة محمد المختار ابن نبالة عالم تَشَيَّت وفقيهما البيتين التاليين:

لَيْنَ غَابَ عَنِّ وَالَاتَ يَحْيَى فَإِنَّهَا تَغْيِبُ عَنْهَا نُورُهَا وَشَبَابُهَا
وَعُيِّبَ عَنْهَا نُحُوهَا وَبَيَانُهَا وَعُيِّبَ عَنْهَا فِقْهُهَا وَصَوَابُهَا

وفي هذه المرحلة التي مرَّ فيها ببعض القرى والمدن كأغريجيت وتشيت وشنقيط وكلميم وتَزَزَوَّالت والصويرة قام الفقيه الولائي بتدريس بعض العلوم

وأخذ عليه أعيان تلك الديار، ونظم خلالها بعض القصائد، وألف بعض التأليف، وأجاب عن أسئلة المستفتين، من أهمها أسئلة الأدوزي.

محمد يحيى في الرباط، حيث التقى بسلطانها آنذاك: عبد العزيز، الذي أحسن منزلته وأكرمه وأمدّه بزاده نحو الجحاز بعد مقام خمسة أشهر بها، وفي هذه الفترة أخذ عنه بعض العلماء علم البيان من تلخيص القزويني وبعض علم أصول الفقه، كما درسوا عليه تأليفه: «منبع الحق والتقى الهادي إلى سنة النبي المنتقى»، وغيره من مؤلفاته الأخرى.

محمد يحيى في البقاع المقدسة حيث أقام بها ستة أشهر، وأدى خلالها فريضة الحج التي أنشأ الرحلة من أجلها.

محمد يحيى بالمدينة المنورة حيث درس بها الموطأ وعقود الجمان في علم البيان للسيوطي والورقات في أصول الفقه، وذلك من خلال شروحه لهذه الكتب كشرحه ألفية السيوطي وشرحه نظم الورقات.

وقد أجاب على أسئلة كثيرة طرحت عليه آنذاك من بينها سؤال عن جواز الحكم بالضعيف من مذهب مالك للقاضي المالكي، وعن جواز حكمه أيضاً بغير قول إمامه كالحنفي مثلاً للمالكي.

محمد يحيى بمصر حيث اجتمع بعلماء الإسكندرية، وناقش بعض علمائها في مختلف الفنون، وطرخوا عليه مختلف الأسئلة، أهدوا إليه كتباً كثيرة، وأخذ عنه بعض أولئك العلماء، من بينهم العالم حسن شحاتة الذي أجازه إجازة شاملة في جميع مروياته من الحديث والفقه والنحو والبيان والأصول، لعلمه بأهليته بذلك، كما هو مثبت في نص الإجازة⁽¹⁴⁾.

محمد يحيى بتونس التقى خلالها بعدد كبير من علمائها وكبرائها، الذين شهدوا له بالفضل والتفوق، وخلال إقامته أجاب عن أسئلة كثيرة، وألف رسالته الموسومة بـ: «حسام العدل والإنصاف في إبطال شهادة رؤية النار وسماع صوت

المدفع وضرب التلغراف».

عودة الفقيه الولائي إلى المغرب مارا بمرسيليا فطنجة منتها باجليم فتندوف وهو الجزء الذي يهمننا في هذا التحقيق وبذلك تكون نهاية الرحلة برجوعه إلى بلده ولاتة يوم: 6 شوال 1317هـ.
مؤلفاته:

تعد الكتابة والتأليف أهم ظاهرة في حياة الولائي، ودليلنا على ذلك وفرة تأليفه التي ناهزت المائة⁽¹⁵⁾، حيث طرق أبواب كل الفنون كتابة وتأليفا وإبداعا، فترك لنا خزانة عامرة، كلها في غاية الحسن والإفادة، حيث اتسمت بوفرة تأليفها، وحسن صياغتها، واستقلالية آراءها، كما امتاز أسلوبه فيها بالوضوح والسلاسة، وقرب الأفكار مع العمق وفصاحة اللغة، ويجد القارئ لكتابة الولائي إضافة إلى يجد إلى وفرة المادة العلمية الغزيرة متعة الأداء وجمال الأسلوب⁽¹⁶⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفقيه الولائي .رحمه الله . غالبا ما يسمى كتبه، فإذا أراد الإعراب عن عنوان كتاب من كتبه . رحمه الله . صدر اسمه بقوله: وسميته بكذا، فمن ذلك قوله . رحمه الله . في ديباجة شرحه مراقي السعود: « أما بعد، فيقول أفقر العبيد على مولاه الغني عمن سواه محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الولائي ... هذا تقييد مبين مفيد وضعته على ألفية سيدي عبد الله العلوي الوحيد المسماة: مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود... وسميته ب: فتح الودود بسلم الصعود إلى مراقي السعود...»⁽¹⁷⁾.

واليك ما استطعت الوصول إليه من تأليف حسب فنونها:
*القرآن وعلومه⁽¹⁸⁾:

1. التيسير والتسهيل لمعرفة أحكام التنزيل.

*الحديث وعلومه:

5. نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح.

*الفقه:

10. منبع الحق والتقى الهادي إلى سنة النبي المنتقى⁽¹⁹⁾.

*القواعد الفقهية:

14. البحر الطامي ذو اللجج على بستان فكر المهج.

*أصول الفقه:

18. فتح الودود بسلم الصعود على مراقي السعود.

*اللغة وعلومها:

30. نظم معاني الحروف من مغنى اللبيب⁽²⁰⁾.

*مجموعة تأليف رسائل وفتاوى وقصائد وردود وفنون مختلفة:

46. نظم مكفرات الذنوب⁽²¹⁾.

*وهذا سرد لبقية الرسائل والردود والفتاوى بحسب ترتيبها الهجائي⁽²²⁾:

ولعل هذه بعض تأليفه وفتاويه ورسائله التي وفقني الله للوصول إليها .

وقد خاض الفقيه الولائي في غمار العلم : التأليف والشرح والتعليق

والتقييد والاختصار والنظم ونحو ذلك، وقليل هم من وفقوا لمثل ذلك.

وتصانيفه. رحمه الله. كما هو واضح من عرضها. من حيث منهجها العام تنقسم إلى

مؤلفات مستقلة وأخرى تبعية.

. أما المؤلفات المستقلة، ونعني بها: التأليف التي كان هو المصمم فيها لمنهج

التأليف تصوراً وترتيباً، ثم إخراجاً وطريقةً، ككتاب: حسام العدل والإنصاف

القاطع لكل مبتدع متبع الأعراف، ونحوه.

. وأما التبعية فالمراد بها: المؤلفات التي ارتبط فيها بمن سبقه بحيث يكون

دور الفقيه الولائي فيها الشرح والتعليق والإضافة والتكميل والتقييد والاستدلال

والتنظير، فمنها: نور الحق الصبيح، والمواهب التليدة، والبحر الطامي وغيرها.

وهذه التأليف في الغالب هي شاملة لجميع الفنون والعلوم وهو دلالة على

موسوعية علم الولائي .

وفاته:

حياة الفقيه الولاّي كانت حافلة بالإنجازات عامرة بالنشاط العلمي، لم يفتر ولم ينقطع عن دوره الريادي العلمي في بلده ولانته، وبقي على حاله يفرق ساعاته بين التدريس والقضاء احتساباً حتى أصابه شلل في أعضائه أخيراً، ولم يزل كذلك حتى توفي في شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة و ثلاثين هجرية الموافق للعام ألف وتسعمائة وإحدى عشرة ميلادي.

وهذا هو الصحيح المعتمد من الأقوال في تأريخ وفاته، وعليه نصّ بعض تلاميذه وحفيده وأغلب مترجميه⁽²³⁾.

وقيل: بأنه توفي في أواخر شعبان من السنة نفسها⁽²⁴⁾.

وقيل: في ذي الحجة من سنة ألف وثلاثمائة وتسع وعشرين هجري⁽²⁵⁾.
وغير هؤلاء كثير.

[جَوَابُ النَّاظِلَةِ الثَّانِيَةِ]

وَإِنَّمَا السُّؤَالُ الثَّانِي فَجَوَابُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ هُوَ أَنَّ مَنْ أَحَاطَ الدَّيْنُ بِمَالِهِ قَدْ اِخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِيهِ، هَلْ تَجُوزُ لَهُ مِنْ مَالِهِ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ أَوْ لَا؟ فَذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْهُمَا أَنَّهَا تَجُوزُ لَهُ مُطْلَقًا أَيَّ قَلِيلَةً كَانَتْ أَمْ كَثِيرَةً مَا لَمْ يَحْجُرْ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ.

[دَلِيلُ الْمَالِكِيَّةِ]:

أَمَّا الرَّوَايَةُ عَنْ مَالِكٍ بِذَلِكَ فَقَدْ نَقَلَ الْمَازَرِيُّ⁽²⁶⁾ عَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ أَنَّهُمَا قَالَا: «إِنَّ الْمَدِينَةَ الَّتِي أَحَاطَ الدَّيْنُ بِمَالِهِ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ التَّبَرُّعِ إِلَّا تَحْجِيرُ الْحَاكِمِ، وَقَرَّرَ ذَلِكَ صَاحِبُ التَّكْمِلَةِ وَالشَّيْخُ سَالِمٌ⁽²⁷⁾ وَنَقَلَهُ عَبْدُ الْبَاقِي الزُّرْقَانِي فِي شَرْحِهِ عَلَى الْمُخْتَصَرِ عِنْدَ قَوْلِهِ: «لِلْغَرِيمِ مَنَعٌ مَنْ أَحَاطَ الدَّيْنُ بِمَالِهِ مِنْ تَبَرُّعِهِ وَنَصُّهُ ظَاهِرٌ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ لِلْغَرِيمِ: مَنَعٌ مَنْ أَحَاطَ الدَّيْنُ بِمَالِهِ مِنْ تَبَرُّعِهِ أَنَّ ذَلِكَ بِأَحَاكِمٍ وَهُوَ الَّذِي فِي ابْنِ عَرَفَةَ⁽²⁸⁾⁽²⁹⁾ وَغَيْرِهِ، وَرَدَّ صَاحِبُ التَّكْمِلَةِ ذَلِكَ وَتَبِعَهُ الشَّيْخُ سَالِمٌ بِقَوْلِ

المَازِرِيِّ: اتَّفَقَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لِلْحَاكِمِ فَقَطُ⁽³⁰⁾. انتهى..وَسَلَّمَهُ الْبَنَانِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ.

[جَوَازُ التَّصَدُّقِ بِالْقَلِيلِ]:

وَالرِّوَايَةُ الْمُقَابِلَةُ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ عَنْ مَالِكٍ: «أَنَّ مَنْ أَحَاطَ الدَّيْنُ بِمَالِهِ لَا يَجُوزُ لَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ إِلَّا الْقَلِيلُ الَّذِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِهِ كإِعْطَاءِ كِسْرَةٍ وَنَحْوِهَا لِسَائِلٍ وَأَنَّ مَا زَادَ عَلَى الْقَلِيلِ لِلْغَرِيمِ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْهُ بِلا حَاكِمٍ إِذَا كَانَ يُجْجَفُ⁽³¹⁾ بِقَضَاءِ الدَّيْنِ عِنْدَ حُلُولِهِ وَهُوَ الَّذِي فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ وَغَيْرِهِ».

[جَوَازُ التَّصَدُّقِ بِالكَثِيرِ]:

وَأَجَازَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ لَهُ أَنَّ يَتَصَدَّقَ بِالكَثِيرِ مِنْ مَالِهِ الَّذِي يُجْجَفُ بِقَضَاءِ الدَّيْنِ إِذَا كَانَ يَرْجُو حُصُولَ مِثْلِ مَا تَبَرَّعَ بِهِ عِنْدَ حُلُولِ الدَّيْنِ أَوْ عِنْدَ قِيَامِ رَبِّهِ بِطَلْبِهِ فَإِنْ تَصَدَّقَ بِمَا يُجْجَفُ بِقَضَاءِ الدَّيْنِ عِنْدَ حُلُولِهِ أَوْ عِنْدَ قِيَامِ رَبِّهِ بِطَلْبِهِ وَهُوَ لَا يَرْجُو حُصُولَ مِثْلِهِ عِنْدَ حُلُولِ الدَّيْنِ أَوْ عِنْدَ قِيَامِ رَبِّهِ كَانَ مَأْجُورًا مِنْ جِهَةٍ وَأَيْنَمَا مِنْ جِهَةٍ؛ بِنَاءً عَلَى قَاعِدَةِ النَّبِيِّ الْوَاحِدِ بِالشَّخْصِ الَّذِي لَهُ جِهَتَانِ كَالصَّلَاةِ فِي الدَّارِ الْمَغْصُوبَةِ ذَكَرَهُ الرَّهْونِيُّ⁽³²⁾ وَاسْتَظْهَرَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽³³⁾.

[دَلِيلُ الشَّافِعِيَّةِ]:

وَأَمَّا الرِّوَايَةُ بِذَلِكَ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فَقَدْ نَقَلَهَا أَصْحَابُ مَذْهَبِهِ. فَنَفِي فَتْحِ الْبَارِي عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ لِلْإِمَامِ ابْنِ حَجَرٍ عِنْدَ قَوْلِ الْبُخَارِيِّ: «بَابُ لَا صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غَنَى وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَالْدَيْنُ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى فِي الصَّدَقَةِ وَالْعَتَقِ وَالْهَبَةِ وَهُوَ رَدُّ عَلَيْهِ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُتْلَفَ أَمْوَالُ النَّاسِ إِلَى آخِرِهِ مَا نَصَّهُ، أَمَّا قَوْلُهُ وَهُوَ رَدُّ عَلَيْهِ فَمُقْتَضَاهُ أَنَّ الدَّيْنَ الْمُسْتَعْرِقَ لَا يَصِحُّ مِنْهُ التَّبَرُّعُ، لَكِنْ مَحَلُّ هَذَا عِنْدَ الْفُقَهَاءِ إِذَا حَجَرَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ بِالْفَلَسِ، وَقَدْ نَقَلَ فِيهِ صَاحِبُ الْمُعْنَى وَغَيْرُهُ الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ فِي حَمَلِ إِطْلَاقِ الْمُصْطَفِ أَيُّ الْبُخَارِيِّ عَلَيْهِ»⁽³⁴⁾. انتهى.

وَفِي إِرْشَادِ السَّارِيِّ لِلْقُسْطَلَانِيِّ عِنْدَ التَّرْجَمَةِ الْمَذْكُورَةِ مَا نَصَّهُ: «مُقْتَضَى

قَوْلِهِ وَهُوَ رَدُّ عَلَيْهِ أَنَّ الدَّيْنَ الْمُسْتَعْرِقَ مَانِعٌ مِنْ صَحَّةِ التَّبَرُّعِ لِكِنَّ مَحَلَّهُ إِذَا حَجَرَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ بِالْفَلَسِ وَقَدْ نَقَلَ صَاحِبُ الْمُغْنَى وَغَيْرُهُ الإِجْمَاعَ عَلَيْهِ فِي حَمَلِ إِطْلَاقِ الْمُؤَلَّفِ يَعْنِي الْبُخَارِيَّ عَلَيْهِ»⁽³⁵⁾. انتهى.

[جَوَازُ التَّصَدُّقِ مَعَ الْكَرَاهَةِ]:

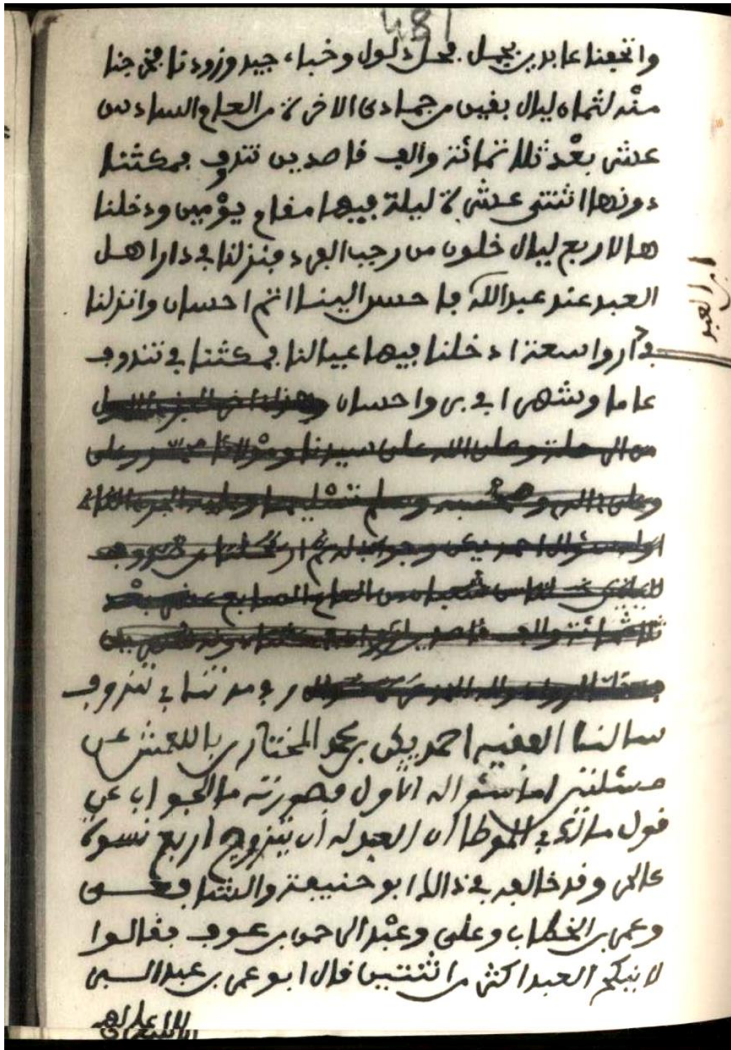
وفي الفتح⁽³⁶⁾ أيضًا في شرح حديث لا صدقة إلا عن ظهر غنى ما نصه قال النووي: «مذهبنا أن التصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه ولا عيال له يصبرون ويكون هو ممن يصبر على الإضاقة والفقير، فإن لم يجمع هذه الشروط فهو مكروه»⁽³⁷⁾. انتهى.

فمفهوم كلامه أن تصدق المدين الذي أحاط الدين بماله بجميع ماله أو جله جائز مع الكراهة، والله أعلم.

وفي المنهاج للنووي⁽³⁸⁾ في باب صدقة التطوع ما نصه: «ومن عليه دين أو له من تلمذه نفقته يستحب له أن لا يتصدق حتى يؤدي ما عليه»⁽³⁹⁾. انتهى. فمقتضاه أنه يجوز له التصدق مع الكراهة، والله أعلم.

أفتى به عبد ربه محمد يحيى بن محمد المختار غفر الله له ولوالديه جميع الأوزار أمين ، وكتب ناقلاً من خطه أواسط ربيع الثاني من عام 1312 هـ عبد ربه أحمد يگن بن محمد المختار بن بلعمش لطف الله تعالى بهم والمسلمين أمين

ملحق الصور



المصادر والمراجع المطبوعة

1. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر لعبد السلام بن سودة، ومعه سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال فهرس الشيوخ لابن سودة، من موسوعة أعلام المغرب.

2. إرشاد الساري للقسطلاني، دار الكتاب العربي، الطبعة السابعة، سنة الطبع 1323هـ.
3. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن ابراهيم الماللي قاضي مراكش، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، سنة الطبع 1977م.
4. الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، بيروت، لبنان، سنة الطبع 1989م.
5. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب لمحمد المختار ولد أباه، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
6. الرحلة الحجازية لمحمد يحيى بن محمد المختار، تخريج وتعليق: د. محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي بالإشتراك مع معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1990م.
7. سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق وإخراج شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، بيروت لبنان، سنة الطبع 1986م.
8. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى سنة الطبع 1349هـ.
9. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للحافظ السخاوي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.
10. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان. سنة الطبع 2000م.
11. المعسول لمحمد المختار السوسي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب. سنة الطبع 1382هـ.
12. مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظية الموريتانية لمحمد محفوظ بن أحمد، المكتب العربي للخدمات الثقافية، الطبعة الأولى، سنة الطبع

1416هـ، 1996م.

13. نيل السول شرح مرتقى الوصول للعلامة الولاتي، تقديم. العلامة محمد مايابي الشنقيطي، المطبعة المولوية، الطبعة الأولى، فاس، المغرب. سنة الطبع 1337هـ.

14. هدية العارفين للبغدادي، دار الفكر، بيروت، لبنان. سنة الطبع 1982م.
15. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، دار صادر، بيروت، لبنان. سنة الطبع 1968، 1972.

المصادر المخطوطة

1. مختصر ابن عرفة. المحفوظة بالخزانة الوطنية بتونس
2. التكملة للمشدالي. المحفوظة بالخزانة العامة بالجزائر العاصمة
3. الرحمة للصفيدي.

⁽¹⁾ سوس العالمة: 166، هذا الكتاب مطبوع قديماً بالمغرب وهناك نسخة منه في المكتبة الوطنية بالحامة بالجزائر العاصمة برقم: 5297/18.

⁽²⁾ وقد اعتمدت في ترجمة الشيخ على ترجمة لنفس العلامة تحقيق الباحث الدكتور: مراد بوضاية.

⁽³⁾ فتح الودود: 2، وراجع الرحلة: 290، وغيرها من كتبه المطبوعة في ديوانته.

(⁴) وعلى هذا اقتصر بعض مترجميه، انظر: ترجمة الولّاتي للعلامة ابن ماباي: مقدمة فتح الودود، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: 8/ 2867 ، الأعلام للزركلي: 142/7 ، دليل مؤرخي المغرب لابن سودة: 397.396 ، معجم المؤلفين: 769/3.

(⁵) وإلى هذا أشار المراكشي في الإعلام: 180/7.

(⁶) انظر المصادر السابقة، والمعسول: 281/8 ، شجرة النور الزكية: 435 ، ترجمة الولّاتي لحفيده بابا محمد عبد الله ، مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظية الموريتانية: 195.

(⁷) ترجمة الولّاتي لحفيده في مقدمة نيل السول.

(⁸) تاريخ النحو العربي: 613.

(⁹) شجرة النور الزكية: 435.

(¹⁰) الرحلة الحجازية: 100 ، 110 ، 114 ، 185 ، 203 وغيرها ، وانظر: نص إجازته لتلميذه حسن شحاتة في الأعلام: 142/7.

(¹¹) انظر: في الكلام عن نشأته العلمية: الرحلة الحجازية له ، المعسول: 281/8 ، ترجمة الولّاتي لحفيده بابا محمد عبد الله في مقدمة نور الحق الصبيح ، وفي مقدمة نيل السول ، الأعلام: 142/7 ، في مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظية الموريتانية: 195.

(¹²) ترجمة الولّاتي لحفيده بابا محمد عبد الله في مقدمة نور الحق الصبيح ، وفي مقدمة نيل السول ، بلاد شنقيط: 529.

¹³ من كتاب الفقيه الولّاتي الرحلة الحجازية ومقدمة محققة ، ومقال الأستاذ أحمد الأزمي: دور الرحلة الحجية المغربية ، وترجمة الولّاتي لحفيده.

(¹⁴) النص ، صورة منه في الأعلام للزركلي: 142/7.

(¹⁵) انظر: مقدمة الرحلة الحجازية لمحمد حجي: 9 ، المعسول: 286/8 ، مقدمة فتح الودود لمحمد حبيب بن ماباي ، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: 613 ، سرد مؤلفات الولّاتي لحفيده في آخر نيل السول.

(¹⁶) مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظية الموريتانية: 195.

(¹⁷) فتح الودود: 3. 2.

(¹⁸) استقيت أسماء مؤلفاته في علوم القرآن من المعسول: 286/8 ، لائحة مؤلفات الولّاتي لحفيده في آخر نيل السول ، وبلاد شنقيط: 205.

- (19) الرحلة: 158، الإعلام للمراكشي: 7/180، المعسول: 8/285، لائحة مؤلفات الولاة لحفيده في آخر نيل السول.
- (20) المعسول: 8/286، لائحة مؤلفات الولاة لحفيده في آخر نيل السول، بلاد شنقيط: 624، 604.
- (21) المعسول: 8/286.
- (22) انظر: هذه اللائحة في بلاد شنقيط: 604. 605، ومسرد كتب الولاة لحفيده في آخر: نيل السول، وبعضها مستقى من كتاب الولاة: الرحلة الحجازية.
- (23) المعسول: 8/285، ترجمة حفيده، إتحاف المطالع: 8/2867، مكانة أصول الفقه: 190، بلاد شنقيط: 604، الأعلام الشرقية: 1/403، الأعلام للزركلي: 7/142.
- (24) شجرة النور: 435، إتحاف المطالع لابن سودة 2867، الإعلام للمراكشي: 7/181.
- (25) المعسول: 8/285، معجم المؤلفين: 3/769.
- (26) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن علي بن محمد التميمي، المازري المالكي، له شرح صحيح مسلم وسمّاه: كتاب المعلم بفوائد مسلم وعليه بنى القاضي عياض كتاب الإكمال، ت: 536 هـ. وفيات الأعيان: 4/285.
- (27) هو: سالم بن محمد بن محمد بن عز الدين بن ناصر الدين أبو النجا السهري المصري الفقيه المالكي له شرح على مختصر خليل في الفقه، ت: 1015 هـ. طبقات المالكية: 116.
- (28) هو: محمد بن محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغي، المالكي، من تصانيفه: المختصر، والحدود، ت: 803 هـ. الضوء اللامع: 10/240، 242.
- (29) المختصر لابن عرفة لا يزال مخطوطة وقد بحث عنه ولم أوفق في إيجاده، إلا أنه قد تم تحقيق الجزء الأول منه طبعة دار المدار الإسلامي، سنة 2003 م، وسوف يتم تكملت تحقيقه الأجزاء المتبقية كما أشار إلى ذلك محققوه.
- (30) لعل الولاة يقصد هنا بصاحب التكملة الفقيه: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدائي وكتابه غير مطبوع.
- (31) جحف: ج، ح، ف. بمعنى الإضرار، ومنها أجحف بهم الدهر أي استأصلهم، ويقال جُحَفَ أي شديد يذهب بكل شي، والسنة المجحفة أي المضرة. لسان العرب لابن منظور: 3/82.

(32) هو: شرف الدين يحيى بن أبي بكر بن عبد الله التونسي المالكي المعروف بالرهوني، ت:773هـ. هدية العارفين:2/527.

(33) إذا لم تكن صدقة التطوع تضر بمال المدين أو تذهب به كله فلا بأس بالقليل أو بالكثير منها إذا كان يرجو حصولها عند حلول الدين أو عند قيام ربه – الدين - بطلبه، أما إذا كان لا يُرجى حصولها سواء عند حلول الأجل أو قيام رب الدين بطلب دينه فإنها تجوز مع الكراهة كما جاء في النص ولعل هذا هو ما أراد الولائي قوله في النص.

(34) فتح الباري:3/345، 346، وفيه: "وهو محتاج أو أهله محتاج "مكان" وهو محتاج أو عليه دين".

(35) إرشاد الساري:3/29، باب وجوب الزكاة.والذي فيه: "الإجماع "مكان" الإجماع عليه".

(36) يقصد هنا بالفتح فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

(37) فتح الباري:3/347، كتاب الزكاة. رقم الحديث (1426).

(38) هو: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، له تصانيف كثيرة منها: روضة الطالبين والمنهاج، ت:676هـ. سير أعلام النبلاء:17/321.

(39) المنهاج للنووي:135، كتاب قسم الصدقات، فصل صدقة التطوع.